وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾
سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ
لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ
مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ
اللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

سورة إبراهيم

﴿الر﴾ هذا الكتاب المعجز منظوم من أمثال هذه الحروف المقطّعة فأتوا بمثله إن استطعتم ﴿الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور العلم والإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر الله وحكمه ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ﴾ هلاكٌ ودمار للكفرة الفُجّار، ويا ويلهم من عذاب الله ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ويفضّلون ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يصرفون الناس عن دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يريدون أن يكون دين الله معوجّاً يوافق أهواءهم ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ بلغة قومه لتتمّ الغاية من الرسالة ﴿بِآيَاتِنَا﴾ بالمعجزات الباهرات ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ بنِعَمه عليهم، وبأيام النصر وإهلاك الأعداء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾ في نصر الله لأوليائه، وإهلاك أعدائه، لعبراً وعظات لكل عاقل، وفي قوله تعالى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ تنبيه على أن رسالة موسى عليه السلام خاصة لقومه (بني إسرائيل) بخلاف قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ مما يدل على عموم رسالته ﷺ لجميع الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿صَبَّارٍ﴾ صيغة مبالغة يعني كثير الصبر على طاعة الله ﴿شَكُورٍ﴾ كثير الشكر على نعمائه جلَّ وعلا.

سبب التسمية: سميت السورة الكريمة سورة (إبراهيم) تخليداً لمآثر ومناقب أبي الأنبياء، وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام، الذي شيَّد صرح التوحيد، وحطَّم الأصنام والأوثان، فكان بحقٍّ خليلاً للرحمن.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي
ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ
مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن
بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۖ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم
بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ
لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

﴿قال فرعون﴾ من فرعون وزبانيته ﴿يسومونكم﴾ يذيقونكم أسوأ أنواع العذاب ﴿ويستحيون نساءكم﴾ يستبقون النساء للخدمة فلا يقتلونهن ﴿بلاء﴾ محنة شديدة وابتلاء لكم ﴿تأذن ربكم﴾ أعلم إعلاماً واضحاً لا خفاء فيه ﴿لئن شكرتم﴾ نعمتي ﴿لأزيدنكم﴾ فضلي وإحساني ﴿لغني حميد﴾ مستغن عن شكر العباد، مستحق للحمد في ذاته وصفاته ﴿نبؤا﴾ أخبار من سبقكم من الأمم المكذبة ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ جاءتهم الرسل بالحجج الواضحات، والمعجزات الباهرات ﴿فردوا أيديهم﴾ سخروا منهم واستهزءوا، حتى وضعوا أيديهم على أفواههم، من كثرة الضحك والسخرية ﴿مريب﴾ موجب للشك ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثالٍ سابق.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ لمّا جاءتهم الرسلُ بالمعجزات الساطعات، عجبوا منهم، وضحكوا واستهزءوا، حتى وضعوا أيديهم على أفواههم من كثرة الضحك والسخرية، وأعلنوا كفرهم بهم صراحة فقالوا: ﴿إنا كفرنا بما أرسلتم به﴾ كفرنا بدينكم ورسالتكم ﴿أفي الله شكٌّ﴾ قالت لهم الرسل: يا عجباً! أفي وجود الله ووحدانيته شك؟ وهو الخالق لهذا الكون البديع، والمنشئ للسموات والأرض؟ ﴿إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا﴾ قال الكافرون رداً عليهم: ما أنتم إلّا بشر مثلنا، تريدون بدعواكم أن تصرفونا عن عبادة الأوثان ﴿فأتونا سلطان مبين﴾ بحجة واضحة على صدق دعواكم.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ
وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ﴾ ما نحن إلا بشرٌ مثلكم نأكل ونشرب ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ﴾ يتفضّل على من يشاء بالنبوة ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ وما ينبغي لنا أن نأتيكم بما اقترحتموه من المعجزات ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بمشيئته تعالى وإذنه ﴿هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ بصّرنا طريق السعادة والنجاة ﴿خَافَ مَقَامِي﴾ موقفه بين يديّ للحساب والجزاء ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ خاف وعيدي وعذابي ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ استنصر الرسل أي طلبوا النصر على أعدائهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر وهلك كلُّ متجبّر متكبر على الله ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق مجانب له ﴿مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ مختلط من قيح ودم ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ يبتلعه كُرْهاً ولا يكاد يستسيغه، لقبحه وكراهته ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وأمام هذا الكافر، عذاب أشدُّ وأغلظ ﴿يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح، فأعمال الكفار تمحقُ كما تذهب الريحُ الشديدة بالتراب.

تشبيهٌ بديع: شبّه تعالى أعمال الكفار الخيريّة، التي عملوها في الدنيا يبتغون بها الأجر، شبّهَها في ضياعها وذهابها، بريح شديدة عاصفة، أتت على رمادٍ - تراب - ناعم فطيّرته، فلم تترك له أثراً، كذلك أعمال الكفار تذهب وتتلاشى، لأنهم أشركوا فيها غير الله، كما قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ وقوله سبحانه: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ لا يقدر الكفار على تحصيل ثواب ما عملوه لإحباطه بالكفر ﴿الضَّلَٰلُ الْبَعِيدُ﴾ الخسران الكبير الذي لا يوازيه خسران!!

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ خرجوا من القبور لموقف الحشر الأكبر، الرؤساء والضعفاء ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ للسادة والقادة الأكابر المجرمين ﴿كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أتباعاً لكم نأتمر بأمركم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ﴾ هل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله؟ ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ للإيمان لهديناكم له، ولكننا شقينا وضللنا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ يستوي علينا ﴿أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾ الجزعُ أو الصبرُ ﴿مِنْ مَحِيصٍ﴾ ليس لنا منجى ولا مهرب من العذاب ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ خطب الشيطان في أتباعه وقال لهم ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لمّا انتهى الحساب ودخل أهلُ النّارِ النّارَ ﴿سُلْطَانٍ﴾ لم يكن لي عليكم تسلُّط بالقهر ﴿لَكِنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ دعوتكم بالوسوسة إلى الكفر والضلال فأطعتموني ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ لست بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾ ولا أنتم تستطيعون إغاثتي منه، وهذه الخطبة من إبليس في أتباعه إنما تكون بعد الدخول في نار جهنم ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ كلمة التوحيد لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ شجرة النخيل.

خطبةُ إبليس: هذه هي الخطبةُ البتراءُ، التي سيخطب فيها (إبليس) في أتباعه المشركين الضالين، فقد رُوي أن أهل النار حينما يدخلون جهنم، تنهال اللعناتُ منهم على إبليس، فيقف خطيباً فيهم، ويرتجل هذه (الخطبة الجهنمية) التي يقول فيها الحقيقة، ولا يكذب فيها ولا يراوغ، يقول: يا أتباعي ويا أحبابي، إن الله وعدكم وعداً صادقاً، أن من آمن به أدخله الله الجنة، ووعدتكم فخدعتكم، وكذبتُ عليكم، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، . . إلى آخر ما أخبر عنه القرآنُ كما تقدّم.

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ
كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ
﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ
ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ
ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ
تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ
فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كلمة الشرك ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ شجرة الحنظل الخبيثة ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت من جذورها ﴿قَرَارٍ﴾ ليس لها استقرار ولا ثبات، وهذا تمثيل، مثَّل للمؤمن وعمله الصالح بشجرة النخيل، وللكافر وعمله الخبيث بالحنظل وهو مرُّ علقم ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾ يثبِّته على الإيمان عند سؤال الملكَيْن له في القبر، كما فسَّره ﷺ بقوله: "المؤمن إذا سُئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله..." رواه البخاري ﴿بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ هم مشركو مكة بعث الله لهم محمداً خاتم الأنبياء فكذبوه ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ أنزلوهم دار الهلاك وهي جهنم ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ بئست جهنم مسكناً ومستقراً لهم ﴿أَندَادًا﴾ جعلوا لله شركاء من الأصنام والأوثان ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟﴾ استمتعوا بنعيم الدنيا ﴿مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ مرجعكم ومستقركم نار جهنم ﴿لَا بَيْعٌ﴾ لا فدية فيه ولا صداقة، جمعُ خُلَّة وهي الصُحبة والصداقة ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ يجريان بانتظام.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ هم كفار مكة، أسكنهم الله حَرَمه الآمن، وجعل عيشهم في سَعَة، وبعث إليهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ، فآذوه وكذَّبوه، وعذَّبوا أصحابه، فابتلاهم الله بالجدب والقحط سبع سنين، حتى أكلوا الجلودَ والوَبَر، بدعوة رسول الله ﷺ، حين قال: **اللهمَّ اجعلها عليهم سنينَ كسِنيِّ يوسف** أي أرسل عليهم القحط والجدب، والآيةُ وإن نزلت في كفار مكة، إلَّا أنها تعمُّ جميع الكفار والفجار، لأن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.!

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ
قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ
أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ
فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾
رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ
ٱلْمُحَرَّمِ ۙ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ
تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾
رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ
فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى
عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾
رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾

﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ لا تطيقوا عدّها لعدم انتهائها ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾ باعدني وباعدْ أبنائي عن عبادة الأوثان ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾ كانت سبباً في ضلال كثير من خلقك ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ أطاعني ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ خالف أمري، فإنك غفار الذنوب.. قرأ ﷺ هذه الآية فبكى وقال: «اللهم أمتي أمتي، فبعث الله جبريل إليه وقال له: إن الله يُقرئك السلام ويقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك» رواه مسلم ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قلوب الناس ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تُسرع وتحنُّ إليهم، شوقاً ومحبة قال ابن عباس: لو قال (أفئدة الناس) لازدحمت عليه الخلائق فارس والروم ﴿تُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ تعلم سرّنا وجهرنا ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ على شيخوختي وكبر سني، وُلد له ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ وعمره ستة، ووُلد له ﴿إِسْحَٰقَ﴾ وهو ابن (١١٢) سنة، وكانت امرأته عقيماً لا تلد، ولذلك ذكر هذه النعمة عليه، ثناءً على الله ﴿مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ اجعلني ممن واظب على الصلاة، واجعل من ذريتي من يحافظ عليها ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ استجب دعائي في ما دعوتك به ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ ختم إبراهيم دعاءَهُ الخاشعَ الضارعَ، بالاستغفار له ولوالديه، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، يوم يقوم الناسُ لربِّ العالمين واستغفر لوالديه قبل أن يتبيَّن له أن أباه عدوٌّ لله، وهذه الدعوات التي دعا بها إبراهيم، كانت قبل أن يشرع ببناء البيت العتيق، وقد شملت هذه الدعوات المباركة، جميعَ المؤمنين والمؤمنات، في شتَّى العصور والأزمان، إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها.!

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ
هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ
الرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم
مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا
لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ
﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ
مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ
وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا
بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

﴿ مُهْطِعِينَ ﴾ مسرعين نحو الداعي مع الذلة والاستكانة ﴿ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ ﴾ رؤوسهم مرفوعة إلى السماء، لا ينظر أحدٌ إلى أحد ﴿ لَا يَرْتَدُّ ﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم، من هول ما يرون ﴿ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾ وقلوبهم خالية من العقل لشدة الهول ﴿ مِّن زَوَالٍ ﴾ ألم تحلفوا في الدنيا، أنكم باقون فيها، لا تحاسبون ولا تُعذبون!! ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ سكنتم في ديار الظالمين فلم تعتبروا ولم تتعظوا!! ﴿ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وترى المجرمين يوم القيامة مربوطين بالسلاسل والأغلال ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ ثيابهم من قطران وهو الذي تُطلى به جلودُ الإبل عند الجرب، وهو حار نتنُ الرائحة ﴿ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴾ تعلوها وتغطيها نار جهنم ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ يجازي المحسنَ بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ حسابه تعالى سريع، يحاسب البشر في وقت واحد، لا يشغله شأنٌ عن شأن ﴿ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ ﴾ هذا القرآن بلاغٌ لجميع الخلق ليتّعظوا به ﴿ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أصحاب العقول السليمة، الذين يستفيدون من آيات الذكر الحكيم، ويعملون بإرشاداته.

تنبيه: ذكر تعالى جزاء المجرمين في الآخرة، وأخبر أنهم يكونون مقيّدين بالسلاسل والأغلال، ثيابهم التي يلبسونها من الزِّفت الأسود، المنتن الريح، الذي يحرق الجلود بحرّه وشدّته، وتغطّي وجوههم نار جهنم، مع الخزي والكآبة، جزاء الكفر والاستكبار، نسأله تعالى أن يجيرنا من هول ذلك اليوم العصيب.